

نحو تأويل نسوي للإسلام:

الإيمان و الجندر في أعمال فاطمة المرنيسي

بقلم: شازية مليك

(Shazia Malik)

دكتوراه في دراسات النساء، الهند

ترجمة: د. مديحة عتيق

جامعة سوق أهراس - الجزائر

الملخص

في الآونة الأخيرة اتخذ تحديد الهوية الدينية دلالة سياسية في الدول العربية ما بعد الكولونيالية. دفعت الإخفاقات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية إلى استجابات دينية رجعية عن العولمة والهيمنة الغربية. تهمّت هذه الورقة بالنسوية العربية/الإسلامية، وتسعى إلى تحليل مساهماتها مركزة على أعمال إحدى النسويات العربيات، وهي فاطمة المرنيسي، وباستحضارها قضايا الإيمان والهويات والاستعمار والثقافة إلى دائرة النسوية تكون قد ساهمت مساهمة جوهرية في إثراء الفكر النسوي. ولتحليل فكر المرنيسي عليّ أن أقف عند أعمالها السوسيولوجية والنسوية. كان اهتمام المرنيسي -المغربية المولدة- الأساسي وعلى الدوام هو وضع النساء في المجتمعات المسلمة المتغيرة بسرعة في العالم العربي، وفي المغرب على نحو خاص.

الكلمات المفتاحية: اللاهوت النسوي- نسوية العالم الثالث- النسوية الإسلامية- البطريكية- الجندر والإسلام.

I-مقدمة:

واجهت النسوية الغربية تحديات وتعديلات من قبل منظورات متنوعة من نسوية العالم الثالث. فنسوية العالم الثالث -في الواقع- في غاية التعقيد. فهي تتباين بما هي عليه من خلال الطبقة والدّين. عادة ما يعتبر الباحثون نسوية العالم الثالث متفرّعة إلى نسوية سوداء، ونسوية جنوب أسيوية، ونسوية عربية/ إسلامية... الخ. تعنى هذه الورقة بالنسوية العربية/الإسلامية، وتسعى إلى تحليل مساهماتها مركزة على أعمال إحدى النسويات العربيات، وهي فاطمة المرنيسي، إذ تمثل صوتا مهما في نسوية العالم الثالث، وقد جلبت قضايا الاحتلال الاستعماري، و التمثيل الاستشراقي، وسياسات الهوية، والتقاطعات و التسامح مع المختلف إلى دائرة الفكر النسوي.

II- مسح استقصائي لأعمال المرنيسي:

قبل أن أبدأ في تحليل فكرها دعوني أولاً أعدّ أشهر أعمالها، كان اهتمام المرنيسي -المغربية المولدة- الأساسي هو- على الدوام - وضع النساء في المجتمعات المسلمة المتغيرة بسرعة في العالم العربي، وفي المغرب على نحو خاص. في عام 1975 نشرت عملها الأوّل المعنون بـ "ما وراء الحجاب: ديناميكيات ذكورية-نسائية في المجتمع المسلم

الحديث" (*Beyond the Veil: Male-Female Dynamics in Modern Muslim Society*)

[1] وجعلها الكتاب على الفور باحثة نسوية عربية رائدة، فقد أثار من نواحي عديدة قضايا خطيرة في الفكر النسوي. وقد تحدت الكاتبة الأنماط الغربية عن الإسلام التي تقاسمتها أيضا- كما تنبّه- النسويات الأوروبيات. ساعدت التمثيلات الغربية للإسلام في نزع الشرعية عن الخصائص الثقافية والعناصر المعرفية التي تشكلت حيوات النساء العربيات. وكانت ميزة الكتاب الأخرى هي محاولته إعادة تأويل التاريخ واللاهوت الإسلاميين من منظور نسوي يراعي الفوارق بين الجنسين (gender-sensitive line)

صنع كتاب المرئسي الآخر والمهم "الإسلام والديمقراطية" (*Islam and Democracy*) [2] دعوى ملتبهة لاستعادة الديمقراطية في العالم العربي. ففي الكتاب حلّت خيوط العملية المعقدة التي يوظف من خلالها الطغاة الرموز الإسلامية لقمع العمليات الديمقراطية. والأكثر أهمية من ذلك، إنّها تعدّ الدين منبعاً يمكنه -على حدّ سواء- أن يدعم أو يقمع المطامح الشرعية الديمقراطية لدى عموم الناس.

ومن أهم إنجازات المرئسي بلورتها وتوسيعها ما صار يعرف عموماً بـ "اللاهوت النسوي"، وهي محاولة لإعادة تأويل الإسلام من منظور نسوي كمنهل لتمكين النساء. وهذا ما قادها إلى إعادة كتابة تاريخ الإسلام مُعلية من شأن فعالية زوجات النبي محمد في تطوير الإيمان. وفي كتابها المؤثر "النساء والإسلام: تحقيق لاهوتي وتاريخي" (*Women and Islam, An historical and theological enquiry*) [3] أعلنت المرئسي من دور النساء في نشر الإسلام، والأهم من ذلك في بلورته. كما ناقش الكتاب "حقوق" النساء في الإسلام، وقدم حجة مهمة بل ومثيرة للجدل على أنّ الشريعة قد شوّهها الرجال عمداً. وإذا بدت اليوم أداة بطريكية فذلك لأنّ النساء لم يحظين يوماً بفرصة تأويله في سياق يراعي الفوارق بين الجنسين.

وفي كتاب آخر بعنوان "السلطانات المنسيات في الإسلام" (*The Forgotten Queens in Islam*) [4] تسلط المرئسي الضوء على قوة وفعالية السلطانات في العالم الإسلامي وفق رؤية تزعم أنّ ممارسة السلطة السياسية لم تكن أبداً امتيازاً ذكورياً صرفاً. فقد مارست النساء أيضاً السلطة السياسية ولكن مساهماتهنّ نُحيت لسوء الحظّ من التاريخ والوعي الشعبي.

III- نشوء النسوية العربية/ الإسلامية:

ماذا تمثل المرئسي بصفتها نسوية؟ على نقيض النسوية الأورو أطلسية تدعو المرئسي إلى أن تمثل النسوية الإسلامية/ العربية. تبدو النسوية الإسلامية لدى البعض صياغة متناقضة، وفعلاً يبدو "الإسلام" و"النسوية" بالنسبة إلى الكثير من النسويات في العالم الغربي خطين متوازيين. تصف نيرة توهيدي (Nayereh Tohidi)

النسوية الإسلامية بأنها حركة النساء اللواتي يحافظن على معتقدا تهنّ الدينية أثناء محاولتهنّ ترقية أخلاقيات المساواة في الإسلام بتوظيفهنّ آيات قرآنية مدعّمة للنساء في نضالهنّ من أجل حقوق النساء [5]. تسعى النسوية الإسلامية إلى أن تكون قراءة نسوية للاهوت الإسلامي، وتطرح فكرة أنّ التأويلات البطريكية للقرآن والحديث يمكن أن تُراجع بفعالية من قِبَل تأويل نسويّ مضاد. تؤكّد نسويات عربيات عديدات على غرار ليلي أحمد على أنّ مبدأ المساواة متأصلّ في الأصوات الأخلاقية في الإسلام. فقد سمعن وقرأن في نصوصه المقدّسة -بشكل منصف وشرعيّ- رسالة تختلف عن التي سمعها صنّاع ومعرّزو الإسلام الأرثوذكسي المحايي للرجال (andocentric) [6]. يشغل هؤلاء النساء المسلمات داخل أطر تهمّشهنّ، وأثناء ذلك أصبحن مرثيات ومسموعات في العن [7].

تؤكّد النسويات الإسلاميات على أنّ التمييز الجنديري (gender discrimination) يقوم على أساس اجتماعي أكثر منه طبيعي و/أو ديني، يمكن أن يفتح هذا الأمر الباب أمام احتمالات جديدة للمساواة بين الجنسين. أثارت شهلة شركت -وهي باحثة في اللغة العربية وضليعة في القرآن الكريم- قضية حقّ النساء في تأويل القوانين الإسلامية، وتناقش فكرة أنّ هذا الأمر يمكن أن يمهد الطريق أمام تطوير نسخة عن إسلام لا بطريكيّ تخدم مصالح وتطلّعات النساء [8]. ترتبط مساهمات المرينسي تحديدا بهذا الحقل، حقل اللاهوت النسوي. وعلى غرار النسويات الإسلاميات الأخريات فقد قدّمت تأويلا للإسلام نسائي النزعة، ومراعيا للفوارق بين الجنسين. وفقا لكوك (Cooke)، تتعلّم النسويات الإسلاميات على غرار المرينسي أن يستفدن من عالمية الإسلام لتقوية أنفسهنّ كنساء وكمسلمات. تموقع المرينسي نفسها في خانة النسوية الإسلامية كي تدرس حيوات النساء خلال السنوات التأسيسية للتاريخ الإسلامي. تركز معظم أعمال المرينسي على الفترة التي تلت مباشرة وفاة النبي عام 656. و تسائل موثوقة السُنّة المنقولة والأحاديث المنسوبة إلى النبي. ولعلّ المرينسي هي أكثر النسويات العربيات تأثيرا، وباستحضارها قضايا الإيمان والهويات والاستعمار والثقافة إلى دائرة النسوية تكون قد ساهمت مساهمة جوهرية في إثراء الفكر النسوي.

IV- قراءة المرينسي النسوية للنصوص الإسلامية:

كان أكثر جهود المرينسي شجاعة تحديها التأويلات الأرثوذكسية للإسلام، وبالنظر إلى الأهمية التي أولتها للمعتقد الديني، يصعب علينا أن نتفق مع كلير نون (Claire Noon) في أنّها نسوية ليبرالية [9] من الصحيح حقّا أنّها آمنت بقوة بحقوق النساء في المساواة. ولكنّ إدراكها لـ"الحقوق" لم ينبعث حصريا من الفكر الأوروبي الليبرالي، وإنّما من إطار إسلامي معترف به. في إعادتها تأويل الإسلام تبدأ برؤية راديكالية جدا -في الواقع- وغير متّفق عليها

عن الإسلام، فهو -كما تقول- "سلسلة وسائل نفسية حول تمكين الذات (self-empowerment) تجعل المرء يحس أنه في بيته في أي مكان في المعمورة سواء كان في محيط أليف أو غير ذلك. تطرح المرينسي فكرة أنّ الغرب حين هزم الدول العربية استعمل المستعمرون كل الوسائل المتاحة لإقناع العرب المغيّبين بمكانتهم الدونية بل والبدائية، وربطوا دونيتهم المزعومة بمعتقداتهم الدينية. في الخطاب الاستشراقي يُعتبر المسلمون فاسقين وتُعتبر نساءهم ضحايا القمع الذكوري. اتخذ المستعمرون الغربيون قضية وضع النساء المتدهور في المجتمع العربي أداة بلاغية لإضفاء الشرعية على الهيمنة الإمبريالية. ولتحقيق ذلك، لم يتحدثوا ثقافة العرب فحسب بل وديانتهم أيضا، فحملوا الإسلام أسباب وضع النساء "غير المحتمل" في العالم الإسلامي. صنفت المرينسي بوضوح التصورات النمطية المتفشية عن الإسلام في الكتابات الاستشراقية، وسعت إلى تفكيك ذلك الخطاب كي تعيد الإسلام داخل سياق إنساني وحساس، حساس تجاه هموم النساء، وساعيا إلى إنشاء مجتمع يقوم على المساواة بين الجنسين.

استهلت المرينسي عملها بإنشاء دراسة تقييمية مقارنة لوضع النساء في العالم الغربي والعربي، وانتهت إلى أنّ في كلا العالمين تبدو مكانة النساء دوتية وتابعة للرجال. وفي الوقت نفسه، نبّهت إلى أنّ الأسس الفكرية والثقافية والاجتماعية للمساواة بين الجنسين تختلف بين الحضارتين. في الغرب -تناقش- يقوم عدم المساواة بين الجنسين والتي تدعوها "للمساواة الجنسية" على فرضية ضعف النساء البيولوجي. تعدّ المرأة - في العالم الغربي - أدنى من الرجل جسديا وعقليا.

في العالم الإسلامي، لا تتبع عدم المساواة بين الجنسين من الاعتقاد بضعفهنّ، بل على العكس، أي من الاعتقاد بقوّتهنّ الكامنة والخطيرة. لذا يجب أن يكون الفصل بين الجنسين -كما تقترح- استراتيجية لاحتواء قوة النساء وطاقتهم الكامنة. وطوال الوقت كانت المرينسي تتوجّه إلى جماهير عديدة تمدح وتقبح في وقت واحد وبالتناوب القراء العرب ثمّ القراء المسلمين ثمّ القراء الغربيين.

V - المرينسي والجنوسة (Sexuality)

تناقش المرينسي مستشهدة بالقرآن ومعيدة تأويل آياته فكرة أنّ الجنوسة ليست شرّا في الإسلام. وعليه، فحتى لو عدّت النساء كائنات جنسية فليس في ذلك تحقير لهنّ ولا اعتبارهنّ أدنى من الرجال. ومع ذلك، سارعت التأويلات البطريركية - من منطلق تصويرها النساء كائنات جنسية- إلى الاستنتاج بأنّ النساء في الإسلام أدنى من الرجال وتابعت لهم. تؤكد المرينسي أنّ الإسلام يقوّرّ بسلطة النساء التي لا تقاوم على الرجال قابلة بذلك روح النظام البطريركي. وعليه، لم ينبع التأكيد على الفصل بين الجنسين في المجتمعات المسلمة من الاعتقاد بوضعية

النساء التبعية بل من الوعي بطاقتهم الكامنة. أدى الاعتقاد بطاقات النساء الكامنة - كما طرح المرينسي - إلى إضفاء صبغة رسمية على مسألة الفصل بين الجنسين في العالم الإسلامي. وهناك - وفقا لها - ثلاث مصادر تتحد من الحميمة في الوحدة المتغايرة الجنس (heterosexual unit) وهي: تعدد الزوجات، حق الرجال أحادي الجانب في الطلاق، وسلطة الحماية في العائلة.

تعدّ المرينسي تعدد الزوجات عائقا كبيرا في تطوير العلاقة الزوجية. فهو يُبقي جنوسة النساء تحت السيطرة بينما يمنح الرجال سلطة ممارسة علاقات جنسية متعدّدة. ويهين هذا الأمر جنس النساء ويجعلهنّ أدنى من الرجال وتابعت لهنّ. وعلى نحو مماثل، يعيق حق الرجال أحادي الجانب في الطلاق تطوير حميمة العلاقة الزوجية لأنّه يغدّي شعورا بعدم الأمان لدى النساء، ويعرقل تطوير علاقة طبيعية بين الأزواج.

في الإسلام التقليدي هناك تمييز واضح بين الفضاءات الذكورية والنسوية، ويمكن هذا الأمر أيضا الرجال من مراقبة والحدّ من سلوكيات النساء الجنسية. وعليه، هناك حاجة إلى إعادة تأويل الإسلام كي يكون أداة لتحقيق المساواة بين الجنسين ولتمكين النساء. وانطلاقا من عملها الميداني في المغرب، طرح المرينسي فكرة أنّ المجتمعات الإسلامية ونساء تلك المجتمعات تحديدا يمثلن حالة كلاسيكية لعدم التوافق الفوضوي (anomic incompatibility) بين المعايير الاجتماعية وتجارب الحياة الواقعية. ويتّضح هنا تأثير دور كايم، تستعير المرينسي المصطلح الدور كايمي (الفوضوية) (anomie)* للإحالة إلى فقدان الإيمان بوجود نظام وقيم أخلاقية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. ولا يمكن أن تُقهر هذه الفوضوية - كما تعتقد - بالتخلي عن الثقافة (والإيمان) بل بالأحرى بإعادة التأويل المراعي للفوارق بين الجنسين.

ووفقا للمرينسي، لا ترتبط جذور الاستبعاد النسائي في العالم الإسلامي بالإسلام بل بالتأويل البطيركي للأخلاقيات والمعتقدات الإسلامية. عرّف الإسلام و أول دائما من قبل الرجال. وكانت الطبقة اللاهوتية التي تقدّم شروحات بالغة الطول للقرآن والحديث كلّها رجال، وتهتمّ بالدفاع عن البطيركية. تشير المرينسي إلى أنّه في عهد النبي كانت هناك نساء مسلمات يشغلن - على غرار الرجال - مكانة "الصحابيات" ويمكنهنّ أن يناقشن النبي بحرية في مسائل الإيمان والأخلاق. وأحد الطرق - كما طرح - التي مكّنت الرجال من أن يجعلوا الإسلام بطيركيا هي التلاعب - والأخطر من التلاعب - "وضع" أدبيات الحديث النبوي. فأكثر الأحاديث وثوقية هي تلك التي جمعها البخاري، ولكن من ضمن 600000 حديث جمعها، هناك 7257 حديث فقط حظي بعد التحقيق بالمصادقية. تنبّه إلى أنّه إذا كان هناك حوالي 596725 حديثا كاذبا متداولوا في عهد البخاري الذي لا يزيد عن قرنين من وفاة النبي، سيسهل على المرء أن يتخيّل عدد الأحاديث الموضوعة والمكذوبة المتداولة اليوم.

وفقا للمرينسي، يقرّ الإسلام بأنّ النساء كائنات جنسية مقتدرة. ليس هناك مفهوم "الدونية الأثوية" (female inferiority) في الإسلام. وعليه، فهو يقرّ بالمساواة الضمنية بين الرجال والنساء. وإذا لم تكن هذه هي القضية اليوم، فمرّد ذلك ببساطة لدى المؤمنات النسويات هو أنّ تلك الطاقة الكامنة لم تُدرك بعد. وأثناء مقارنتها بين مفاهيم القوى المحركة الجنسية (sexual dynamics) لدى فرويد والغزالي تصل المرينسي إلى دليل مهمّ على أنّ الاستقطاب الجندري (Gender Polarization) سمة [خاصّة] في التحليل النفسي الفرويدي، ولكنّه غائب تماما في فكر الغزالي.

يمثّل كلا المفكرين حاليا اتجاهات فكرية مختلفة، في الفكر الغربي الحديث ممثّلا في فرويد- الاختلافات بين الجنسين متأصلة في الوجود البشري، وتنتمي الفروقات بين الرجال والنساء إلى مجال الطبيعة. وخلافا لذلك، ومن وجهة نظر العالم الإسلامي - ممثّلة في الغزالي - فالاختلاف بين الجنسين اجتماعي، و الفروقات بين الرجال والنساء ليست متأصلة بل هي حصيلة عملية اجتماعية. فهناك إذن -تختم المرينسي- قبول لدى هذا الأخير [الفكر الإسلامي] لمساواة ضمنية بين الرجال والنساء، وذا لم يحدث ذلك بعد فلأنّ الطاقة الكامنة لم تُدرك..

VI - خاتمة

على المستوى الفكري استحضرت النسوية الإسلامية قضايا الهوية الدينية ساعية بحسم من أجل المساواة بين الجنسين، وبينما برز الفكر البطريركي إلى حدّ بعيد حقوق النساء المهضومة بناء على أنّ الفروقات بين الرجال والنساء طبيعية، تدّعي المرينسي بأنّ الإسلام يقرّ بأنّ الرجال والنساء متساوون ضمينا، وعلى غرار باقي النسويات الإسلاميات، تقدّم المرينسي تأويلات للإسلام نسوية التوجّه، ومراعية للفوارق بين الجنسين.

*يقدم إميل دور كايم في كتابه "تقسيم العمل" (The Division of Labour) مفهوم (الفوضوية) (anomie) كحالة لغياب المعايير (normlessness) والتي تتسبّب في النسب العالية للانتحار والانحراف. وظّف (الفوضوية) ليصف حالة اختلال النظام الذي ساد المجتمع. وفي حالة الفوضوية - كما يطرح دور كايم - لا يستطيع الأفراد أن يجدوا مكانهم دون قواعد واضحة ترشدهم.

المراجع:

- [1]Fatima Mernissi : *Beyond the Veil : Male- Female Dynamics in Modern Muslim Society*, (Schenkman Publicating , Co, Inc, Cambridge, Massachusetts, 1975)
- [2]Fatima Mernissi : *Islam and Democracy; Fear of the Modern World*, translated by Mary Jo Lakeland (New York Addison- Wolsey Publishing Co, 1992)
- [3] Fatima Mernissi : *Women and Islam, An historical and theological enquiry*, translated by Mary Jo Lakeland (Kali for Women, Women Unlimited, New Delhi,2004)
- [4] Fatima Mernissi : *The Forgotten Queens in Islam*, (University Minnesota Press, Minneapolis, 1997)
- [5] Tohidi Nayereh ; « The Issues at Hand », In Hebert Bodman and Nayereh Tohidi (ed) *Women in Muslim Societies: Diversity Within Unity*, (Boulder Colo; Lynne Rienner, 1998)
- [6] Ahmed, Leila : *Women and Gender in Islam: Historical Roots if Modern Debate*, (New Haven, Conn, Yale University Press,1992)
- [7]Mariam Cooke ; « *Women Claim Islam* », *Creating Islamic Feminism Through Literature*, (Routledge, New York, London, 2001)
- [8] Najmabadi, Afsaneh : *Feminism in an Islamic Republic ; Years in Hardship, Years of Growth*, in Yvonne, Y Hadded and John Esposito, (ed), *Islam, Gender and Social Change in the Muslim World*(New York Oxford University Press,1998).
- [9]Claire Noon: *Islamic Feminism as articulated by Fatima Mernissi and its implications for Christian mission*

عنوان المقال الأصلي

Dr, Shazia Malik : ***Towards a Feminist Interpretation of Islam: Faith and Gender in the Works of Fatima Mernissi***, IOSR, Journal of Humanities And Social Sciences (IOSR- JHSS) Volume 19, Issue3, Ver, IV, (Mar.2014) pp25-28
e- ISSN:2279-0837 p-ISSN: 2279-2845

www.iosrjournals.org

هوامش المترجمة:

:Gender

مفهوم الجندر Gender كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني، وتعني في الإطار اللغوي Genus ؛ أي: الجنس من حيث الذكورة والأنوثة(، وإذا استعزنا ما ذكرته) آن أوكلي (التي أدخلت المصطلح إلى علم الاجتماع، سنجد أنّها توضح أنّ كلمة Sex ؛ أي: الجنس، تشير إلى التقسيم البيولوجي بين الذكر والأنثى، بينما يشير النوع Gender إلى

التقسيمات الموازية وغير المتكافئة) اجتماعيًا إلى الذكورة والأنوثة)، ولديها كتاب عن هذا عنوانه) الجنس والنوع والمجتمع، عام 1972م).

رابط الموضوع <http://www.alukah.net/culture/0/8554/#ixzz3q0LWg7nr> :

:Patriarchy

سيطرة الأب على العائلة، فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة، وهو رب البيت وعموده، وسيطرة الأب هذه في العائلة، وكذلك في المجتمع كله، تجعل إرادته مطلقة، بحيث تقوم على التسلط من جهة (الذكور)، والخضوع والطاعة من جهة أخرى (الإناث).

وتظهر هذه الأبوية كما يقول النسويون، على مستوى العائلة، والمجتمع بأسره، في القيم والتقاليد، وفي وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية التي تعمل على ترسيخ القيم والعلاقات الاجتماعية التي يحتاج إليها المجتمع الأبوي والشخصية البطريركية.
انظر: عصام عبد الباسط: البطريركية الأبوية.. دلالة المفهوم ونشأته

- See more at:

<http://www.lahaonline.com/articles/view/17667.htm#sthash.LwpgTXZZ.dpuf>